

تقدير المصالح والمفاسد

اعتنى البخاري - رحمه الله تعالى - بالجانب التربوي من هدي النبي - ﷺ - لا سيما في التعليم، يظهر ذلك جلياً لمن أمعن النظر في تراجم أبوابه، وما نبه إليه الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - من خلال شرحه العظيم "فتح الباري بشرح صحيح البخاري" في آخر شرحه لأغلب الأحاديث، وغيره من أهل العلم والفضل.

وفي هذه المقالات سأسلط الضوء على بعض هذه الفوائد التي ذكرها في شرحه لكتاب العلم، مع شيء من الإضافة والتنسيق والتعديل على سبيل الإيجاز، لعل الله - ﷻ - ييسر الانتفاع بها لتعم بها الفائدة.

قال البخاري - رحمه الله تعالى - :

"باب من ترك بعض الاختيار، مخافة أن يقصر فهم بعض الناس عنه، فيقعوا في أشد منه

.. عن ابن الزبير، كانت عائشة تسر إليك كثيراً فما حدثتك في الكعبة؟

قلت: قالت لي: قال النبي - ﷺ - : (يا عائشة لولا قومك حديث عهدهم بكفر، لنقضت

الكعبة فجعلت لها بابين: باب يدخل الناس وباب يخرجون).

ففعله ابن الزبير".

من الفوائد المستنبطة:

١. كانت قريش تعظم أمر الكعبة جداً، فخشى - ﷺ - أن يظنوا لأجل قرب عهدهم بالإسلام أنه

غير بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك.

٢. ترك إنكار المنكر خشية الوقوع في أنكر منه.

٣. الإمام يسوس رعيته بما فيه إصلاحهم ولو كان مفضولاً ما لم يكن محرماً، والنفوس تحب أن

تساس كلها لما تأنس إليه في دين الله من غير الفرائض.

٤. ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة، وقد يترك يسير من الأمر بالمعروف إذا خشى منه أن

يكون سبباً لفتنة قوم ينكرونه. فإذا تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة

وترك المفسدة بدأ بالأهم؛ لأن النبي - ﷺ - أخبر أن رد الكعبة إلى قواعد إبراهيم - عليه السلام -

مصلحة ولكن يعارضه مفسدة أعظم منه وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريباً لما كانوا يرون

تغييرها عظيمًا فتركها النبي - ﷺ -.

٥. فكر ولي الأمر في مصالح رعيته، واجتناب ما يخاف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا إلا

الأمر الشرعية كأخذ الزكاة، وإقامة الحد.

٦. تأليف قلوبهم وحسن حياطتهم وأن لا ينفروا، ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه ما لم يكن فيه

ترك أمر شرعي.

٧. استدل به أبو محمد الأصيلي منه في مسائل من النكاح في جارية يتيمة غنية كان لها ابن عم

وكان فيه ميل إليها فخطب ابنة عمه وخطبها رجل غني فمال إليه الوصي، وكانت اليتيمة تحب

ابن عمها ويجبها فأبى وصيها أن يزوجها منه ورفع ذلك إلى القاضي وشاور فقهاء بلده فكلهم

أفتى أن لا يزوج ابن عمها وأفتى الأصيلي أن تزوج منه خشية أن يقعا في المكروه استدلالاً بهذا

الحديث، فزوجت منه.

وغير ذلك من الفوائد.

DR-ALHADARI.COM